فإذا اختل التوازن بينهما لم يصح أن تكون هناك آلهة .. إذ كيف يكون إلهاً ذلك الذي يعذب إلهاً آخر (بروميثوث) ثلاثين ألف سنة ؟ بل كيف يكون هذا الإله عاقلاً ؟

وبعد ، فلقد كان إسخيلوس يحتقر الديانة اليونانية ويعرف أنها أضغاث، وقد احتقرها من يوم نبوءة دلفي التي أمرت اليونانيين بأن يستسلموا للفرس لأنهم لا يغنون عن أنفسهم من شرهم شيئاً. فلما انتصر اليونانيون آمن إسخيلوس بإله عادل يسيطر على الكون ويقهر الظالمين ، ويرعى الضعفاء ، فلم يأل جهداً بعد هذا في هدم هذه الآلهة الكثيرة التي خلقها السلف ووقع في عبادتها الخلف عن جهالة وغباء

هذا هو إسخيلوس الدرامي الأول ، فلعل دراسته تغنينا من الإسهاب في تأريخ من يليه من أدباء اليونان

دريني خشبة

صور ذكريات لندن

حـــرية ...!

للأستاذ عمر الدسوقي

مضى الشتاء متثاقلاً متلكئاً بعد أن أطلق لشياطينه العنان ، تعبث بالأرض عبث الوليد بخذروفه ، وتجوس خلال الديار بوجوه مقطبة مكفهرة ، تتوارى منها ينابيع الجمال والرحمة هلعاً وفرقاً ؛ وتلفح أنفاسها الأوراق النضرة فتذوى ، وأوراق الدوح فتساقط عصفاً مأكولاً ؛ وتزفر زفرات مَرَّتْ على زمهرير سقر ، حتى تنتفض لها الدنيا ، وتنكمش في أبرادها وتسرى في أوصالها رعدة القر ، وقشعريرة الحمى البرود ؛ أو ترسلها ضباباً أسود بشماً ، يملأ فجاج الأرض ، تطرف منه العيون وتدمع ، وتغص به الحلوق وتشرق ، وتسيل الأنوف وتنتفخ ، وتسعل الصدور وتنقبض ؛ يحجب الشمس ، ويعطل الحياة ، ويحيل السبل سراديب مدجنة يرتطم فيها الأحياء بالجمادات وهم يتحسسون طريقهم ، وتتراءى فيها الجمادات مردة طليت بالقار ، أو اشتملت بمسوح نسجت من أديم الليل البهيم ؛ أو ترسلها ريحاً زفوفاً مزمجرة ، تهز الأرض هزًّا عنيفاً ، وتزأر زئيراً منكراً كئيباً ، يصم الآذان ، ويرجف الأفئدة ...

حتى إذا خالت الشياطين أن الدنيا قد هلكت رعباً ، وحالت جثة هامدة باردة ، وأشلاء ممزقة مبعثرة ؛ دفنت بالثلج كفناً أبيض يتراكم كسفاً ، ويجلل الأرض بقطع بيضاء هشة ، كأنها زبد الموج الصاخب ، أو شعر عجوز شمطاء اجتثته وهي مغيظة محنقة ، أو العهن المنفوش ، أو القطن المندوف

ثم حشدت فيلق المزن في عنان الجو ، ترتدي حبر الحداد ، وتبكي وتنتحب ، وتجهش بالعويل ، فتسمع لها شهيقاً وزفيراً ؛ وتسكب الدمع مطراً هتوناً تسقط حباته على الأرض كأنها نقرات الدفوف ، أو عصا جبار ينكث الأرض موجدة وغيظاً ، أو حجرات مسلم متعبد يرجم الشيطان بمنى ؛ ثم تزدحم به الأودية فيطغى ويكتسح كل ما يعترض موكبه الهائج وتياره المائج

وها قد نفخ الشتاء في بوقه ، فحشرت إليه شياطينه من كل فج ، وولى مشيعاً باللعنات ، وطفقت حرارة الحيـاة تتمشى في أطراف الدنيا ، فتنهض الطيور الهاجعة ، وتتثاءب البراعم الوسنانة ، وترقع الرياض ما بلي من كسائها بالحشائش الحواء ، وتوشيه بالأزهار اليانعة العبقة الشذى

وها هي ذي ذكاء تبرز صفراء عليلة، غب احتجابها الطويل، ثم تتوارى في خدرها بعد هنيهة ، ثم تبدو أثبت قدماً وأربط جأشاً . وتحاول السماء أن تتجرد من ثياب الشتاء القاتمة الغليظة ، فتمزقها إرباً إرباً ، فتظهر أجزاء من أديمها الأزرق الصافي خلال بردها المهلهل الخلق

وهرع أهالي لنـدن إلى العراء ليشهدوا آخر معركة بين التوأمين الربيع والشتاء

وجاءتني ربة الدار فرحة متهللة ، مشرقة الطلعة ، كأنما نفث الربيع فيها من سحره ، فغدا وجومُها بسمات ، وحديثها ضحكات خفيت تحية كأفواف الزهر ، ثم تغنَّت بفتنة الطبيعة في ديارها إبان الربيع ، فحسبتها قمراً يُرَجِّع على فنن دوحة تميس في الحبر السندسية البديعة ، أو مزهر عازف يوقع أنشودة الجمال الرائع ؛ ثم قالت :

— حذار أن تظل حلس بيتك في مثل هذا اليوم النادر ،

فسرح الطبيعة عندنا جم المناظر ، تارة يلفظ شُواظاً من نار فتقبع المخلوقات فى دورها ، وتارة يبتسم ابتسامة الرضا فينسى الناس فترات تجهمه ، فيعدون إليه بقلوب يستخفها الطرب ، ويتملكها العجب . إن أشعة الشمس فى بلادنا نفيسة كالذهب الوهاج ، يتهافت عليها الناس ويدخرونها لأوقات يربدُّ فيها وجه السماء ، وما أكثرها حتى فى هـذا الفصل الذى تخطر فيه الدنيا فى حلة قشيبة من النَّوْر ، وتتنفس فيه الرياض عبيرَ الأقحوان النَّدّ ، والياسمين والورد

— لقد حدثتِ فأطربت ، ووصفت فأطنبتِ ، فهل لكِ أن تهديني إلى أى الحدائق أبهج للفؤاد ، وأجلى لصدى النفس ، وأمتع للنظر ؟

— إن لندن يا سيدى مدينة تزخر بألوف الألوف من البشر ، مترامية الأطراف ، واسعة الجنات ، فسيحة الرقعة تتمثل فيها الحياة العاملة المجدة ، والحركة الدائبة النشطة فى أوجها ؛ ترى قُطُر الكهرباء تجرى فيهـا رائحة غادية ، فى سراديب تحت الأرض ، وعلى قضب فوقها ؛ وترى أسراب السيارات تجوب أرجاءها ألوفاً ألوفاً ، فمنها ذوات الطبقتين كأنها بواخر تمخر عباب اليم ، ومنها القميئة التى تنساب فى الطرقات انسياب الصِّلال وسط الأحراج والأدغال ؛ والناس فيما بين ذلك يهرولون زرافات ووحداناً ، كأنما الحياة الدنيا قد أفلست وعرضت ذخائرها ، وهم إلى الغنيمة يهطعون ولهم ضجيج يفزع الكواكب فى مسابحها ، والشياطين فى معاقلها

وحرى بنا ونحن نتنفس هواء قد أفسدته الصناعة ، وأنفاس الخلق ، أن ننشىء الرياض العريضة الرحبة ، تخطُّها البحيرات الجميلة الجذابة ، ففيها نستجم من نصب العمل والحياة المضنية ، وإليها نهرع إذا ضاقت صدورنا ، وكادت أرواحنا تزهق من حر أنفاسنا . ولكل روض خاصة : فإذا نشدت الهدوء والعزلة ، والمنظر الخلاب البهيج ، فدونك «الريجنت» ؛ وإذا شئت أن تدرس طباع الشعب عن كثب ، وتشهد صراع الفكر ، وخطباء الندى ، والجموع الغفيرة ، والحرية المطلقة ، فدونك « هايدبارك » ؛ وإن كنت مولعاً بالتلال المعشبة ، والرُّبى الخضراء ، والوهاد الفسيحة ، والطبيعة الساذجة الغفل التى لم تصقلها يد البشر ، فأعمد إلى « هامستدهيث » ؛ وإن كنت مغرماً بدرس النباتات وأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة ، فعليك بحدائق « كيو » حيث يمثل فيها نبات الدنيا جمعاء . وهناك رياض أخرى لا تقل رونقاً وبهاء وحسناً ورُواءً عما ذكرت

— لقد شدت — يا سيدتى — بمدينتك نخورةً مُدِلة ، ولا عزو ، فأنتم أمة لم تنس نصيبها من متع الدنيـا وزخرفها . فها هى ذى لندن ، قد تجلت فى مبانيها سلامة الذوق والانسجام البديع ، وحفت طرقها بالأشجار ، وزينت منازلها بالحدائق الصغيرة سيان فى ذلك بيت الأمير وبيت الحقير . وإنى لنصيحتك جِدُّ مطيع ، ولك منى ثناء عطر جزاء وفاقاً على ما أتحفتنى به من حديث ممتع طريف ؛ فعمى صباحاً ، وإلى اللقاء ...!

ذهبت إلى « هايدبارك » وهأنذا ألج ساحتها المزدحمة

يا عجباً ! هنا منابر وخطباء ، وهنا جموع محتشدة تنصت وتنتقد وتجادل وتسخر وتحتد ؛ وعلى كل منبر رَقّ مرقوم ، يفصح عن الفكرة التى يدعو إليها الخطيب أو ينافح عنها . والناس ينتقلون من حلقة إلى أخرى كأنهم زُمَر النحل ، تقتطف من كل زهرة قطرة ؛ حتى يقعوا على ما يَلَذ لهم حديثه ، فيرهفون السمع ويعملون الفكر ويجادلون المتكلم أحرَّ جدال

هناك شيوعياً يبسط للناس مبادئ عقيدته ، ويلوم فى حدة وسلاطة وعنف ، هؤلاء الذين اكتنزوا الذهب والفضة واستعبدوا بهما الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؛ وأخذوا ينعمون بأطايب الحياة ، ويعثرون النضار فى سبل الفسق ، بينما يَغَص المجتمع بقوم يبيتون على الطوى ويندبون جَدّهم العاثر ، وزمنهم الغادر . ويدعو بكل ما أوتى من ذرابة لسان ، وشجاعة جَنان ، إلى تقسيم الثروات حتى يتساوى الناس فى الشقاوة والسعادة ، والغنى والفقر

وهناك اشتراكياً لا يشتط كتربه وإنما يطلب — كما يقول — العدل والرحمة ، والرفق بمن يكد ويكدح ليتعم سيده ويقوى بمن يذوى شبابُه ، ويراق دمُه ، ويَضنى جسمه فى المصنع والحقل ؛ ليقدم للإنسانية عُدة الترف والبذخ ؛ مفنداً فى لباقة وطلاوة حديث ما يتصدى له الشيوعى من دعوة ترمى بالعالم فى أحضان الهلكة والدمار ؛ وكيف يُسَوِّى بين الذكى والغبى ، والشجاع

والرعديد ، والقوى والضعيف ، والجاد والخامل ... ؟ وهل الحياة الدنيا سوى كفاح وجهاد ، وصراع وجلاد ، يفوز فيه من قويت مُنَّته ، وحسنت عدته ، ودأب على العمل لا يَكِل ولا يمل .. ؟

ثم يعرج على أزمات الأمم فى عصرنا هذا ، وأنها نتاج استبداد الأغنياء بالفقراء ، ولو رعى الأول حقوق الثانى لأخلص الثانى فى خدمة الأول ولاستقام العالم وعاش فى بُلَهنية ووفاق . ولم ينس أن يَصُبَّ ذُنوباً من ألفاظ السباب على الحكام المستبدين وقتلهم لحرية الأفراد ، وتسخيرهم الأمم لإشباع مطامعهم

وهاك يهودياً يبكى ويستبكى ، ويناشد القلوب الرحيمة والعقول السليمة ، أن تنصف شعب الله المختار ، الذى كتبت عليه الذلة والمسكنة ، والذى طارده الحكام المستبدون فى كل بقعة عقد لهم فيها اللواء ، وكتب الظفر ، فبات شريداً طريداً ، خالى الوفاض ، كسير القلب ، مهيض الجناح . ويقول : إننا قطعة من الإنسانية المعذبة ، وأنتم يا أبناء التاميز قد رُبيتم على البر بالمحروم ، والنصفة للمظلوم ، ولا نطلب منكم سوى ديارنا التى كنا نقطنها منذ ألفى سنة ، وما تركناها إلا قسراً وقهراً ؛ جودوا لنا بفلسطين ، نُحيلها جنَّة من جنان الخلد ، ومعقلاً أميناً يصد كل من تحدثه نفسه بالتعدى على طرق الامبراطورية العتيدة . ينفذ بمثل هذه العبارات إلى أفئدة الناس فيأسرها ، ويستدر دمعهم ، ويكسب عطفهم .

وهاك قسيساً ، قد ارتدى مسوحه ، ووقف فى وقار وتزمت ينادى القطعان النافرة من حظيرة الكنيسة : أن ارجعوا إلى بارئكم ، فالباطل لا يغنى من الحق فتيلا ، وأن لكم فى طمأنينة الروح عوضاً عن فقدان المادة ، وأن الحياة الدنيا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ يدعها الإنسان وحيداً إلا مما قدمت يداه ، فلا مال ولا عتاد ، ولا جاه ولا سلطان والآخرة خير لكم وأبقى

وهاك امرأة ، قد تملكتها نزعة صوفية ، فبرزت فى أسمال ، وأطمار وطفقت ترفع عقيرتها منشدة الأغنيات الدينية فتجذب إليها جموع الناس ، ثم توسمهم لوماً وتأنيبا على تقصيرهم فى حق المسيح ، حتى إذا انفضوا عنها ضاحكين هازئين عادت تغنى مرة أخرى .

وهاك ملحداً يسفه الشرائع والأديان ؛ وهاك عالماً يشرح للدهماء أصول علم النفس وقوانين الاجتماع .

وهاك حبشياً يثير حماس القوم ضد القوة الغاشمة ، والأمة الظالمة ، ويلجأ إلى سجايا الانجليز الكريمة ، وأريحيتهم ومروءتهم وتقديسهم للحرية ألا يدعوا وطنه يذهب نهبة لأطماع الاستعمار ، وقربانا على مذبح الغدر بالعهود والحنث بالذمم .

وهاك سفسطائياً يبرهن على أن الانجليز هم « شعب الله المختار » لا بنى إسرائيل ، وأنهم أولى الناس بحلم العالم .

وهاك نازيا ، يبرق ويرعد ، ويتهدد ويتوعد ، ويهدر كالسيل الجارف ، وينزو الديمقراطية فى عقر دارها ، ويرميها بالتفكك والانحلال ، والضعف والفساد ؛ لاتباعها أوهاما وخزعبلات ، وتعلقها بمثل لا تغنى أمام جبروت المدفع شيئاً ؛ ولما لأوشاب الناس فيها من أيد وقوة ، فيتخلف عن دست الحكم ذو الرأى الرشيد ، ويظفر إليه من لا يقيم للأمور وزنا ؛ ويرى المجالس النيابية بأنها ميدان للثرثرة وقتل الوقت ، ويقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

يا قوم ، ألقوا أعنة أموركم ليد مصلحة سديدة ، ففى ذلك العزة والمنعة ، والعدل والمساواة ، طهروا دياركم من اليهود الذين امتصوا دماءكم وأنتم فى غفلة ساهون . ألم يسيطروا على صحفكم ويوحوا إليكم بما تعتقدون ؟ ألم يخضعوا المسرح والخيالة لسلطانهم المالى ، ويعرضوا عليكم ما يشاءون لا ما تريدون ؟ ألم ينتصبوا ينابيع الثروة منكم ، ويصيروكم فعلة مأجورين ؟

إن آفات المجتمع — يا قوم — تجد المرعى خصباً ممرعاً ، فى ظل الديمقراطيات ؛ حيث يتغنى الناس باسم الحرية فتوزع جهود الأمة ، ويتفرق الناس شيعاً ، ويُشغلون بالحزازات الحزبية عن السير فى طريق الإصلاح والفلاح

راعنى ، وأيم الحق ، تلك الحرية العجيبة ، وكيف أن عقول الناس فى هذا البلد ، تصغى إلى كل هذه المبادئ المتباينة ولا تتأثر بها ، وكيف أن حلمهم يسع كل هذه الطعنات فى أنظمتهم وعقائدهم وآرائهم . ولو كان هؤلاء الدعاة فى أمة أخرى غير انجلترا

زجوا فى غيابات السجون ، أو حزت ألسنتهم أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف لما ينفثونه بين الناس من سموم ، وما يريدونه من شر بالحكم ونظامه والمجتمع واستقراره

تركت تلك الجلبة الصاخبة ، وأخذت أجوب الحديقة ، نشاهدت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ رأيت الفضيلة تذبح فى معبد الشهوات ، والناس لا يتورعون عن الفاحشة تحت شمس الضحى ، وقد عادوا أشبه بالضوارى فى أدغالها ، لا قانون ولا نظام ولا حرمة ولا حياء . انتهكت الأعراض علانية ، ووطئت المكارم طواعية ؛ ولم يرتفع صوت يهيب بهم : أن رفقاً بمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية ، والمثل الخلقية

بل سمعت أدهى من ذلك وأمر ، أعنى حماية رجال الشرطة لكل من فى الحديقة ، والضرب على يد كل من يتصدى لهم واعظاً أو مبكتاً ، وأن الحديقة حرم يأوى إليه كل من يريد أن يفرج عن نفسه أو يطفئ نار شهوته ، أو يفوه بما يعد جريمة فى مكان غير هذا ؛ وأن الشعب هنا يسير على سجيته وفطرته ، فلا يتقيد بعرف أو نظام ، بل يتمتع بالحرية المطلقة

فقلت : رحماك ربى ، إن هذه أعجوبة العصر ... !

ثم سألت شرطيًّا : أيتاح لى أن أعتلى منبراً كهؤلاء الخطباء؟

— ولم لا ؟ ما عليك إلا أن تستأجر منبراً وتقول ما شئت ، وإن استجاد الناس حديثك استمعوا لك ، وإن لم يلذ لهم انفضوا من حولك

تركته شاكراً متعجباً ، وقد عقدت العزم على أن أدحض باطل هذا الدجال الصهيونى الذى يفترى على الحق ، ويعلى كلمة الزور والبهتان ، ويدعى وطناً ليس له بحق عربى مبين ؛ وقلت لنفسى : ما دام للدهماء فى هذه البلاد كلمة وسلطان لجدير بى أن أسمعهم صوت فلسطين العربية

ثم عدت وزمرة من لداتى أبناء العروبة ، نتبارى فى تبيان قضية العرب العادلة ؛ وكانت ملحمة حامية الوطيس بيننا وبين الصهيونيين ، سأرجئ وصفها إلى حديث آخر إن شاء الله

عمر السرقى

وليم بتلر يايتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الشاعر الذى أوجد لأمته أدباً

١٨٦٥ — ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

— ١ —

فى الثامن والعشرين من شهر فبراير ، وفى روكبرون من كاب مارتن من أعمال فرنسا ، فقدت أرلندا وفقد معها العالم عبقرياً من النسق الأعلى : وليم بتلر يايتس ، زعيم حركة « الإحياء السلتى » وعميد الأدب الأرلندى ، وشاعر أرلندا الأكبر ، ومؤسس مسرحها الأول ، وخالق نهضتها الأدبية والفنية ، وعميد المذهب الرمزى فى الأدب الإنجليزى الحديث ..

كتب النقادة « روبرت لند » بعد وفاة يايتس يقول : « ما كان الفقيد فناناً عظيماً فحسب ، وإنما كان إلى ذلك رسولاً عظيماً من رسل الفن ؛ جعل حياته فى سبيل خلق حركة أدبية ومسرحية أنزلت أمته أكرم المنازل بين الأمم »

ولعل أغلب الذين رأوه فى صدر شبابه ورأوا ذلك الشعر